مبيّنات الدلالة في المُحَرَّر الوجيز لابن عطيَّة (سورة الكهف نموذجًا)

د/ محمد حسام عبد التواب عبد المجيد عبد الرحيم (*)

الملخّص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مبيّنات الدلالات القرآنيَّة في المُحَرَّر الوجيز لابن عطيَّة؛ بغية الكشف عن منهجه في إيضاح الدلالات وتزيزها وزيادة بيانها، من خلال: المبيّن القرآنيّ، والمبيّن الحديثيّ، والمبيّن الشعريّ، والمبيّن النثريّ، وآثار الصحابة والسابقين، وأقوال النحاة ... وكثيرًا ما كان يسرد هذه المبيّنات دون تعقيب.

يكشف الباحث عن مبيّنات الدلالة في سورة الكهف، وبيان حدودها، كمًّا وكيفًا، وكذلك ترتيبها في كلِّ موضع عند تعدّدها، من حيث الصدارة والتأخير.

لقد بيَّن ابن عطيَّة الدلالة القرآنيَّة بمبيّن واحد فقط في مواضع، وبمبيّنين اثنين في مواضع، وعدَّد مبيّنات الدلالة في مواضع، دون أن يلتزم رتبة واحدة في إيراد المبيّنات الثنائيَّة والمتعدِّدة، في المواضع القرآنيَّة.

كما أنَّه في المبيّنات الشعريَّة لم يلتزم عصر الاحتجاج كما هو الحال في شواهد التقعيد؛ إنَّما بيَّن الدلالات بمبيّنات شعريَّة من عصر الاحتجاج، ومبيّنات من خارج عصر الاحتجاج، ومبيّنات غير مؤكّدة النسبة، ومبيّنات غير معلومة النسبة.

الكلمات المفتاحيَّة:

- المبيّنات: الشواهد والأدلة القرآنيَّة والحديثيَّة والشعريَّة والنثريَّة ... التي تستعمل؛ لتعزيز الدلالة وزيادة بيانها.
- المبيَّن القرآنيّ: الآيات القرآنيَّة التي تستعمل لتعزيز الدلالة وزيادة بيانها.
- المبيّن الشعريّ: الأبيات الشعريَّة التي تستعمل لتعزيز الدلالة وزيادة بيانها.
- المبيّن الحديثيّ: الأحاديث النبويَّة التي تستعمل لتعزيز الدلالة وزيادة بيانها.
- المبيّن النثريّ: النصوص النثريَّة التي تستعمل لتعزيز الدلالة وزيادة بيانها.
- آثار الصحابة والسابقين: أقوال الصحابة والسابقين التي تذكر لتعزيز الدلالة وزيادة بيانها.

(*) أستاذ العلوم اللغويَّة المساعد – كلية الآداب – جامعة بني سويف.
أستاذ العلوم اللغويَّة المساعد – كلية الآداب – جامعة الجوف.

Explaining the semantic in Ibn Atiyyah's Al-Muharrar Al-Wajeez (Surat Al-Kahf as an example)

Abstract: This research aims to reveal the Qur'anic semantics in Ibn Atiyya's, Al-Muharrār Al-Wajeez. In order to reveal his approach to clarifying the meanings through: the Qur'anic clarifier, the hadith clarifier, the poetic clarifier, the prose clarifier, the narrations of companions and predecessors, and the sayings of grammarians... He often listed these indications without commenting.

The researcher reveals the indications of the semantics in Surat Al-Kahf, and clarifies their limits, quantitatively and qualitatively, as well as their arrangement in each place when they are multiple, in terms of precedence and delay.

Ibn Atiyya explained the Qur'anic significance with only one declarative in places, and with two declaratives in several places, and he enumerated a number of declaratives of the significance in places, without adhering to a single rank in listing dual and multiple clarifications in the Qur'anic places.

Also, in the poetic illustrations, he did not adhere to the Time of protest, as is the case in the evidence of grammatical; Rather, he explained the semantics with poetic indications from the Time of protest, indications from outside the Time of protest, indications of uncertain proportion, and indications of unknown proportion.

مقدِّمة:

إنَّ البحث في موضوع: مبيّنات الدلالة في المُحَرَّر الوجيز لابن عطيَّة*(١): سورة الكهف نموذجًا، يكشف عن المبيَّنات التي استعان بها ابن عطيَّة في المحرَّر الوجيز؛ لإيضاح الدلالات القرآنيَّة وتعزيزها في مواضعها.

ويقصد بمبيّنات الدلالة: الشواهد التي ترد مبيّنة للدلالات المذكورة، وهي محرَّرة من بعض الضوابط التي تحرّتها شواهد التقعيد.

وقد جاءت هذه المبيّنات متنوِّعة كمًّا وكيفًا؛ حيث اكتفى في بعض المواضع بمبيّنٍ وحيد للدلالة، وزاوج بين مبيّنين في بعض المواضع، وعدَّد المبيّنات في مواضع أخرى؛ منوِّعًا بينها بين المبيّن القرآنيّ والمبيّن الحديثيّ والمبيّن الشعريّ والمبيّن النثريّ وآثار الصحابة والسابقين وأقوال النحاة.

- **أسباب اختيار البحث:** اخترت هذا الموضوع؛ لأنَّ الدراسات التي جاءت في الشاهد اللغويّ أو النحويّ أو البلاغيّ انصبَّ اهتماها على شواهد التقعيد لا شواهد التبيين والتوضيح، وكذلك لما لشاهد التبيين الدلاليّ من أهمية في بيان المعنى القرآنيّ؛ هديًا بسنَّة السابقين في ذكر أهمية إيضاح معاني القرآن بالقرآن والحديث وآثار الصحابة والسابقين وكلام العرب شعره ونثره.
- **منهج البحث**: اعتمدت في هذا البحث على مناهج البحث اللغويّ، وبخاصّة المنهج الوصفيّ التحليليّ؛ الذي يقوم على وصف ظاهرة (التبيين) بالشاهد، حيث استخرجت المواضع المبيَّنة من قبل ابن عطيَّة، ثم كشفت عن أنواع المبيّنات التي أوردها في كلِّ موضع، مبيّنًا رتبة كلِّ مبيّن عند الجمع بين مبيّنين أو عند تعدُّد هذه المبيّنات.
- **الدراسات السابقة:**

لم يسبق هذا البحث بدراسات في موضوع مبيّنات الدلالة؛ إنَّما سبق بدراسات في الشواهد، يذكر الباحث منها ما يلي:

---

(١)* كتاب المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحقّ بن غالب بن عطيَّة الأندلسيّ (ت٥٤٦هـ)، وهو كتاب تفسير سلك صاحبه في تأليفه مسالك المفسرين فجاء جامعًا بين المأثور والمعقول، وقد نقل ما في الكتاب من مصدرين، أوَّلهما: شيوخه، وآخرهما: كتب التفاسير، مستقيا أحاديثه من الصحيحين: البخاري والمسلم، وكتب السنن، وناقلاً اللغة والمعاني من كتب السابقين كمعاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للزجاج، والكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرِّد.

- الاستشهاد بالحديث النبوي في معجم لسان العرب، حازم الحاج طه، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، ع١٣، ١٩٨١م.
- أهمية الشاهد النحوي في تفسير القرآن الكريم، تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري نموذجا، لخضر روبحي، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد٦، مايو ٢٠٠٧م.
- الشاهد النحوي الشعري المجهول القائل في شرح ابن عقيل في بابي الابتداء ونواسخه وأثره في القاعدة النحوية، سري طاهر الجبوري، مجلة الأستاذ، ع٢٠٠، ٢٠١٢م.
- الشاهد النحوي في شعر جرير كما تناوله النحاة، زياد محمد سلمان أبو سمور، جامعة القصيم، مج٧، ع٣، أبريل ٢٠١٤م.
- الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند ابن عنقاء (ت١٠٥٣هـ) في كتابه غرر الدرر الوسيطية، بكر عبد صالح عباس الصميدعي، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، ع١٧، ٢٠١٥م.
- الشاهد الشعري لدى أبي البركات الأنباري في (الإنصاف في مسائل الخلاف)، عصام درار الكوسي، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ع١٢، ٢٠١٩م.
- حدود الدراسة: تتمركز الدراسة في سورة الكهف في المحرَّر الوجيز لابن عطيَّة؛ حيث جاءت مبيّنات الدلالة ثريَّة في سورة الكهف (وسط القرآن)؛ وقد استخرجت المواضع الدلاليَّة الواردة مُبيَّنة بمبيّنٍ أو أكثر، ثُمَّ صنَّفتها؛ فاقتضى ذلك تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: أحاديَّة المبيّنات.

المبحث الثاني: ثنائيَّة المبيّنات.

المبحث الثالث: تعدُّد المبيّنات.

تمهيد:

اعتنى العلماء بدراسة الشاهد؛ لما له من قيمة كبير في الدرس اللغويّ؛ لكنَّ هذا البحث لا يعالج الشاهد النحويّ؛ إنَّما يكشف عمَّا استعان به ابن عطيَّة في إيضاح الدلالات القرآنيَّة؛ فالمبيّنات ليست شواهد تقعيد، إنّما غرضها في الدلالة التبيين والتعزيز.

والفوارق واضحة بين الشاهد النحويّ والمبيّن؛ لأنَّ شاهد التقعيد النحويّ يخضع لقيدي الزامن والمكان وله ضوابط، فلا بدَّ أن يكون في عصر الاحتجاج، القرن الثاني الهجري في الحضر والرابع الهجري في البادية، أما مبيّنات المعنى؛ فلا تخضع لأيّ قيود زمانيَّة أو غيرها.

والتفريق في المادة اللغويَّة بين ما يندرج تحت (الاستشهاد أو الاحتجاج) وما يندرج تحت (التمثيل) يعود إلى نوع النصّ ومن أنتجه، فإذا كان النصّ من النوع الذي يعدُّ أساسًا للقواعد شعرًا أو نثرًا منسوبًا إلى شاعر موثوق به في عصر الاستشهاد أو إلى قبيلة من القبائل التي وثّقت لغاتها فهو من النوع الأوَّل؛ لأنَّ الاستشهاد أو الاحتجاج هو سَوْق ما يقطع صحَّة القاعدة أو الرأي ويبرهن على ذلك؛ أمَّا إذا كان النصّ مصنوعًا أو غير موثوق؛ بأن ساقه النحويّ نفسه أو ساقه عمَّن لا يُحتجُّ بكلامهم فهو (تمثيل) للقاعدة، وهدفه الإيضاح والبيان فقط.(١)

والمبيّنات من حيث النوع منها القرآنيَّة والحديثيَّة والشعريَّة والنثريَّة وآثار الصحابة والسابقين وأقوال النحاة.

"قال الأندلسيّ في شرح بديعيَّة رفيقة بن جابر: علوم الأدب ستَّة: اللغة والصرف والنحو، والمعاني والبيان والبديع؛ والثلاثة الأُوَل لا يُستشهد عليها إلاَّ بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة فإنَّه يُستشهد فيها بكلام غيرهم من المولّدين؛ لأنَّها راجعة إلى المعاني ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم؛ إذْ هو أمر مردُّه إلى العقل، ولذلك قُبِل من أهل هذا الفنِّ الاستشهاد بكلام البحتريّ، وأبي تمّام، والمتنبّي، وهلم جرًّا".(٢)

(١) انظر: الاستشهاد والاحتجاج باللغة: رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، محمّد عيد، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٨م، ص٨٥، ٨٧.

(٢) خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغداديّ (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م، ١/٥.

فلا يتقيَّد المبيِّن الشعريّ بقيد زمنيّ أو مكانيّ، كما هو الحال في شاهد التقعيد الذي يرتبط بعصر الاحتجاج؛ أمَّا شاهد التبيين فإنَّه يُختار من أي عصر، كما أنَّ المبيّنات لا تعوِّل على نسبة الشاهد ولا الاختلاف في الرواية، ولا الشعر المصنوع؛ لأنَّ غرضها الإيضاح والتأكيد والتعزيز لا التقعيد، وأمَّا من حيث نسبة المبيّنات الشعريَّة إلى أصحابها؛ فإنَّها أربعة أقسام:

١- مبيّنات شعريَّة من عصر الاحتجاج.

٢- مبيّنات شعريَّة من خارج عصر الاحتجاج.

٣- مبيّنات شعريَّة غير مؤكَّدة النسبة.

٤- مبيّنات شعريَّة غير منسوبة.

فلم يكتف ابن عطيَّة بسرد الدلالات؛ إنما بيَّنها وعزَّزها بطائفة من المبيّنات تنوَّعت كمًّا وكيفًا؛ فأمَّا من حيث الكمّ فإنَّها جاءت أحاديّة أو ثنائيَّة أو متعدِّدة، وأمَّا من حيث الكيف فإنَّه نوَّع هذه المبيّنات بين آثار الصحابة والسابقين والمبيّنات القرآنيَّة والحديثيَّة والشعريَّة والنثريَّة وأقوال النحاة.

المبحث الأوَّل: أحاديَّة المبيّنات

اعتمد ابن عطيَّة في تبيين الدلالة على خمسة مبيّنات أحاديَّة، يرد كلٌّ واحد منها في موضع مستقل يوضِّح الدلالة القرآنيَّة، وهذه المبيّنات هي: المبيّن الشعريّ، والمبيّن الحديثيّ، والمبيّن النثريّ، وآثار الصحابة والسابقين، وأقوال النحاة.

١- المبيّن الشعريّ:

جاء البيت الشعريّ وحده مبيّنًا للدلالات في المُحَرَّر الوجيز، دون التقيُّد بعصر الاحتجاج، أو المكان، أو نسبة البيت إلى قائله.

تعتمد العرب في استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها، على الشعر الموزون والكلام المقفَّى، وكان ذلك هو ديوانها(١)، "وكان ابن عبّاس يقول: إذا قرأتم شيئًا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإنَّ الشعر ديوان العرب"(٢)، يؤكِّد ذلك أنَّه لمَّا اختلف الناس في تفسير معنى (تخوّف) في قوله: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖۖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٤٧ ﴾ النحل: ٤٧؛ قال عمر: أيُّها الناس عليكم بديوانكم، لا يضلّ، قالوا: وما ديواننا؟ قال شعر الجاهليَّة؛ فإنَّه فيه تفسير كتابكم.(٣)

لقد أخذ الشاهد الشعريّ مكانًا رحبًا فسيحًا بين الشواهد العربيَّة، وبخاصَّة في تعزيز الدلالات وزيادة بيانها في كتب التفسير وإعراب القرآن؛ إذ يعوَّل عليه كثيرًا في بيان دلالات الكلمات والتعبيرات القرآنيَّة.

فاستأثر الشاهد الشعريّ على الشواهد الأخرى في المؤلّفات اللغويَّة والنحويَّة؛ حيث اعتمد العلماء على عدد كبير من الشواهد الشعريَّة في تأصيل العلوم وسنِّ قواعدها وأحكامها.(٤)

---

(١) انظر: الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمّد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٩٦٥م، ٧١/١، ٧٢.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزْديّ (ت٤٥٦هـ)، حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه: محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م، ٣٠/١.

(٣) انظر: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تح: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م، ٤٣٩/٣.

(٤) انظر: الشاهد الشعريّ بين الفقيه والنحويّ، سعاد بنت مصلح الرداديّ، مجلّة جامعة أم درمان الإسلاميّة، كليّة اللغة العربيّة، ع٩، ٢٠١٧م، ص٥٥.

استشهد بالشعر أماجد النحاة كالخليل وسيبويه والمبرّد وأبي حيَّان والسيوطيّ وابن مالك وابن هشام، واستعان المفسِّرون به في التفسير وبيان المعاني، أمثال: القرطبيّ والطبريّ وابن كثير والألوسيّ وابن عطيَّة والزمخشريّ والسَّمين الحلبيّ، وأثرى به مؤلّفاتهم معربو القرآن، كالفرَّاء والزجّاج والأخفش والنحّاس والعكبريّ وابن الأنباريّ.

وقد أكثر النحاة من الاستشهاد بالشعر؛ لما له من قيمة وأهمية عند العرب؛ "فالشعر معدن علم العرب، وسِفر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها، والخندق المحجور على مفاخرها ...".(١)

والظاهرة الواضحة في النحو هي الاعتماد الأساسي على الشعر؛ إذ يكون وحده العنصر الغالب من بين مصادر الاستشهاد، باستثناء ابن مالك الذي اعتمد على الحديث، وأبي حيَّان الذي اهتمّ بإيراد الكثير من لغات القبائل في كتابه ارتشاف الضَّرب، وابن هشام الذي اعتنى بالنصِّ القرآنيّ.(٢)

وقد استعان ابن عطيَّة بالمبيّنات الشعريَّة لتوضيح المعنى؛ فاتَّخذ البيت الشعريّ مبيّنًا أحاديًّا للدلالات القرآنيَّة؛ وذلك لما للشعر من دور في الاستشهاد النحويّ، من ذلك ما ذكره في معنى (باخعٌ نفسَك) في قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ الكهف: ٦؛ إذ ذكر أنَّ معنى (باخعٌ نفسَك) مهلكها وجدًا وحزنًا على أمرٍ ما، ثمَّ بيَّن المعنى بقول ذي الرمَّة:

ألا أيُّهذا الباخعُ الوجدُ نفسَه بشيء نَحَتْه عن يديه المقادرُ.(٣)

أي: المهلكُ الحزنُ نفسَه.(٤)

اختار ابن عطيَّة مبيّنًا للوصف (باخع)، بيت ذي الرمَّة، أحد شعراء عصر الاحتجاج؛ لقرب المعنى في البيت المذكور من المعنى الوارد في الآية، وهو من تبيين دلالات الأسماء بالأسماء.

---

(١) عيون الأخبار، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَريّ (ت٢٧٦هـ)، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٩٦م، ١٨٥/٢.

(٢) انظر: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص١١٥.

(٣) البيت من الطويل لذي الرُّمَّة في ديوانه، ص٢٥١.

(٤) انظر: المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عطيَّة الأندلسيّ (ت٥٤٦هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ٤٩٦/٣.

ومن ذلك إيضاح دلالة (رجمًا بالغيب) في قوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴿٢٢﴾ ﴾ الكهف: ٢٢؛ ذكر ابن عطيَّة أنَّ معنى (رجمًا بالغيب) ظنًّا، وهو مستعار من الرجم، كأنَّ الإنسان يرمي الموضع المجهول عنده بظنّه المرّة بعد المرّة، يرجمه به عسى أن يصيب، ومنه: الترجمان وترجمة الكتاب، ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

وما الحربُ إلاَّ ما علمتمْ وذقتمُ وما هو عنها بالحديثِ المُرجَّمِ(١)

الحديث المُرجَّم: الذي يرجم فيه بالظنون.(٢)

وقد اختار ابن عطيَّة لتبيين معنى الاسم (رجمًا) شاهد زهير، أحد شعراء عصر الاحتجاج، في وصفه الحديث بـ(المُرجَّم)، وهو من تبيين دلالات الأسماء بالأسماء؛ أي اتِّفاق المبيَّن القرآنيّ والمبيّن الشعريّ في الاسميَّة.

ومن ذلك قوله: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴿٥٦﴾ ﴾ الكهف: ٥٦؛ معنى (ليدحضوا): يزهقوا، و(الدَّحض) الطين الذي يزهق فيه، ومنه قول طَرَفة بن العبد:

وردت ونجَّى اليشكري نجاؤه وحاد كما حاد البعيرُ عن الدَّحضِ(٣)

الدّحض: الطين والزلق.(٤)

فيتجلَّى هنا تبيين المعنى بشاهد منسوب لطَرَفَة؛ مما يبيّن أنَّ ابن عطيَّة اعتمد شواهد غير مؤكّدة النسبة أو منسوبة للشعراء في دواوينهم، في إيضاح المعاني، مع تبيين المضارع المنصوب بالمصدر المجرور، دون التقيّد بالنوع من حيث الاسميَّة والفعليَّة؛ أي اختلاف المبيَّن القرآنيّ عن المبيّن الشعريّ في الاسميَّة والفعليَّة.

ومن هذه النوع من المبيّنات ما ذكره في معنى (لا أبرح) في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الكهف:٦٠، إذ ذكر أنَّ معنى (أبرح) أسير؛ أي لا أزال، وإنَّما قال هذه المقالة وهو سائر، ومن هذا قول الفرزدق:

(١) البيت من الطويل لزهير بن أبي سَلمى في ديوانه، ص١٠٧،
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٥٠٧/٣، ٥٠٨.
(٣) البيت من الطويل، منسوب لطَرَفَة بن العبد في ديوانه، ص١٦٦، ولسان العرب (دحض)، وتاج العروس (دحض).
(٤) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٢٥.

فما برحوا حتّى تهادت نساؤهم ببطحاءَ ذي قارٍ عِيابَ اللطائمِ[١]

أي ما تحرّكوا وساروا.[٢]

لم يتقيَّد ابن عطيَّة بعصر الاستشهاد في المبيّن الشعريّ؛ حيث إنَّه أورد بيت الفرزدق لبيان المعنى القرآنيّ، الذي أُخرِج عن عصر الاستشهاد، كما أنَّه بيَّن المضارع (لا أبرح) بالماضي (ما برحوا)؛ فلا يشترط اتِّحاد المبيَّن والمبيّن في الزمن (الوحدة الزمنيَّة)، رغم اتِّفاقهما في الفعليَّة.

ومن ذلك تبيين معنى (موئلاً) في قوله: ﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ الكهف: ٥٨؛ ذكر ابن عطيَّة أنَّ (الموئل) المُنْجي، ومنه: أل الرجل يئل إذا نجا، ثُمَّ بيَّن المعنى بقول الشاعر:

لا وألت نفسك خيلتها للعامريين ولم تكلم[٣]

وقول الأعشى:

وقد أَخَالِسُ ربَّ البيتِ غَفْلَتَهُ وقد يُحاذرُ منّي ثُمَّ ما يئلُ[٤]

أي لا ينجو، والماضي وأل أي نجا.[٥]

يتبيَّن أنَّ ابن عطيَّة بيَّن معنى (موئلاً) بمبيّنين شعريّين، أوَّلهما مجهول النسبة، وآخرهما للأعشى ميمون بن قيس، أحد شعراء عصر الاحتجاج؛ فلم يكتفِ بمبيّنٍ شعريّ واحد؛ إنَّما ذكر مبينين لشاعرين مختلفين، كما أنَّه في الشاهد الأوَّل بيَّن الاسم (موئلا) بصيغة فعليَّة ماضويَّة (وألت) في بيت مجهول النسبة، وفي الشاهد الأخير بيَّن الاسم (موئلا) بالصيغة الفعليَّة المضارعيَّة (ما يئلُ) في شعر الأعشى.

وقد احتجَّ صناديد النحاة بالشاهد غير معلوم النسبة أو مجهول القائل، أمثال سيبويه والمبرّد وابن جني وابن مالك وابن هشام وابن عقيل وغيرهم.

ومن ثمَّ يمكن تبيين معاني الأسماء بالأفعال؛ ولا يشترط وحدة النوع من حيث الاسميَّة والفعليَّة، بين المبيَّن والمبيّن (شاهد التبيين).

نستنتج ممَّا سبق أنَّ ابن عطيَّة سعى في تبيين الدلالات القرآنيَّة بالمبيّنات الشعريَّة، دون التقيّد بنوع أو زمان أو قائل؛ فهو يبيّن الأسماء بالأسماء دون التقيّد

(١) انظر: البيت من الطويل للفرزدق في ديوانه، ص٥٤٣.
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٢٧.
(٣) البيت دون نسبة في المحرَّر الوجيز، ٥٢٦/٢.
(٤) البيت من البسيط، للأعشى في ديوانه، ص٥٩.
(٥) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٢٦.

باسم أو مصدر أو صفة أو إعراب، ويبيّن الأفعال بالأفعال دون التقيّد بزمن أو نوع الفاعل، ويبيّن الأسماء بالأفعال والعكس؛ ولذلك لا يشترط اتِّفاق المبيَّن والمبيِّن في الاسميَّة والفعليَّة.

فمن تبيين الأسماء بالأسماء أنَّه بيَّن معنى الاسم (باخع) وبيَّنه بـ(الباخع)، و(رجمًا) بـ(المُرَجَّمِ)، ومن تبيين الأفعال بالأفعال دون التقيُّد بالزمن، أنَّه بيَّن معنى المضارع (لا أبرح) المسند لضمير المتكلِّم المفرد بالماضي (ما برحوا) المسند لضمير الغائب الجمع.

كما اعتمد ابن عطيَّة تبيين الأسماء بالأفعال والعكس، حيث بيَّن معنى الاسم (موئلاً) بمبيّنين فعليّين، أوَّلهما: الماضي (وألت)، وآخرهما: المضارع المنفي (لم يئل)، كما أنَّه بيَّن الفعل المضارع المنصوب (ليدحضوا) بالاسم (الدَّحض) في المقوّي الشعريّ.

أمَّا من حيث زمن المبيِّن ونسبته إلى صاحبه فإنَّه اعتمد مبيّنات شعريَّة في عصر الاحتجاج كذي الرُّمَّة وزهير بن أبي سَلمى، ومبيّنات شعريَّة من خارج عصر الاحتجاج كالفرزدق وجرير، كما أورد مبيّنات منسوبة نسبة غير مؤكَّدة، وأورد أيضًا مبيّنات غير معلومة القائل أو دون نسبة؛ ممَّا يبيِّن الفوارق بين جواز تحرّر شواهد التبيين من قيود النسبة والزمان والمكان، عكس ما وجب في شواهد الاحتجاج والتقعيد، والجدول التالي يبيّن ذلك:

م	المبيَّن القرآنيّ	نوعه	المبيّن الشعريّ	نوعه	القائل
١	باخعٌ	اسم	الباخع	اسم	ذو الرُّمَّة
٢	رجمًا	اسم	المُرَجَّم	اسم	زهير
٣	ليدحضوا	فعل	الدَّحْض	اسم	طَرَفة بن العبد
٤	لا أبرح	فعل	ما برحوا	فعل	الفرزدق
٥	موئلاً	اسم	وألت	فعل ماضٍ	دون نسبة
			يئل	فعل مضارع	الأعشى

٢- المبيّن الحديثيّ:

يُكثر النحاة واللغويّون في التقعيد من الشواهد القرآنيَّة والشعريَّة، ويُقلّون من الشواهد الحديثيَّة؛ إثر اختلاف اللغويّين في الاستشهاد بالحديث النبويّ؛ لما ورد من رواية بعض الأحاديث بالمعنى؛ ورغم ذلك اتَّخذ بعض النحاة الحديث مصدرًا أصيلاً من مصادر الاستشهاد والتقعيد. ولا يدرس هذا البحث الاستشهاد أو التقعيد؛ إنَّما يدرس مبيّنات توضيح الدلالات وتعزيزها؛ وقد جاء الشاهد الحديثيّ ركنا مكينًا فيها في المحرَّر الوجيز؛ إذ يبيّن ابن عطيَّة دلالات القرآن بالحديث.

وقد اختلف النحاة في الاستشهاد بالحديث؛ فانقسموا ثلاثة فرق؛ أوَّلها: منع الاستشهاد بالحديث، ومنه أبو الحسن ابن الضائع (٦٨٠هـ)، وأبو حيَّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ)، وثانيها: كان في منزلة وسطى بين المنع والجواز؛ حيث تحفَّظ وأجاز الاستشهاد بما صحَّ من لفظه، ومنه أبو إسحاق الشاطبيّ (٦٩٠هـ)، وآخرها: أجاز الاستشهاد بالحديث، ومنه ابن خروف (٦١٠هـ) وابن مالك (٦٧٢هـ) والدماميني (٦٨٠هـ) وابن سعيد التونسيّ (١١٩٩هـ) وغيرهم.(١)

فإذا جعل النحاة القرآن وكلام العرب حُجَّة في الاستدلال بها على صحَّة قواعدهم النحويَّة؛ فإنَّ أحاديث الرسول وآثار الصحابة تُعدُّ أصلاً من أصول الاستشهاد النحويّ.(٢)

إنَّ رواية بعض الأحاديث بالمعنى؛ دفع بعض النحاة إلى عدم الاستشهاد بها، وإن جاءوا به فإنَّما يجيئون به لتقوية ما لديهم من شواهد قرآنيَّة أو شعريَّة أو نثريَّة وردت عن القبائل العربيّة التي يحتجّون بلغاتها.(٣)

ولتمَّام حسان تعقيب في قضية الاستشهاد بالحديث؛ إذ قال: "كان ينبغي للنحاة أن يراعوا أنَّ الذين تلقَّوا هذه الأحاديث تلقّيًا مباشرًا عن الرسول -صلوات الله عليه- كانوا من الصحابة وهم عرب خُلّص من ذوي الفصاحة والسليقة".(٤)

(١) انظر: دراسات في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، وكالة المطبوعات، الكويت د.ت، ص٤٩، والاستشهاد والاحتجاج باللغة، محمّد عيد، ص١٠٩ – ١١١.

(٢) انظر: الاستشهاد النحويّ بأقوال الصحابة عند الإمام بدر الدين العينيّ في ضوء كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمّد بن عبد القادر هنادي، مجلة جامعة أم درمان الإسلاميّة، كلية اللغة العربيّة، العدد٨، ٢٠١٦م، ص٥٣.

(٣) انظر: دراسات في كتاب سيبويه، ص٤٩.

(٤) الأصول دراسة إبستمولوجيّة للفكر اللغويّ عند العرب: النحو – فقه اللغة – البلاغة، تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٩٤.

فالمنهج الصحيح عدّ الحديث النبويّ وآثار الصحابة أصلاً من أصول الاستشهاد في التقعيد النحويّ؛ اقتداءً بكثير من النحاة المتأخّرين كالسهيليّ وابن مالك والرضيّ وابن هشام وابن عقيل والدماميني والأشمونيّ والبغداديّ والصبَّان والخضريّ وغيرهم.(١)

أمَّا عن استخدام الحديث في التبيين فإنّ ابن عطيَّة اتَّخذه مبيّنًا رئيسًا مكينًا في إيضاح الدلالة وتعزيزها، من ذلك ما ذكره في معنى الفعل (واصبر) في قوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨؛ ذهب ابن عطيَّة إلى أنَّ الفعل (واصبر) معناه احبس، ثمَّ بيَّن هذه الدلالة بالمبيّن الحديثيّ؛ فذكر أنّهَ من المصبورة التي جاء فيها حديث نهى النبيّ عن صبر الحيوان، أي حبسه للرمي.(٢)

بيَّن ابن عطيَّة الدلالة القرآنيَّة بمعنى الحديث الذي ورد: عن جابر بن عبد الله يقول: (نهى رسول الله ﷺ أن يُقتل شيء من الدوابّ صبرًا).(٣)

وقد بيَّن ابن عطيَّة فعل الأمر (اصبر) بمعنى الحديث الوارد في النهي عن صبر الحيوان؛ فلا يشترط في التبيين اتِّفاق النوع بين اللفظين: المبيَّن والمبيّن، حيث إنَّه كثيرًا ما يذكر المبيّن الحديثيّ بمعناه لا بلفظه ونصّه الذي ورد به.

وتقتضي (مع) في الآية الصحبة والموافقة، والأمر بالصبر هنا يظهر منه كبير اعتناء بهؤلاء الذين أمر أن يصبر نفسه معهم.(٤)

يتبيَّن ممَّا سبق اعتماد الحديث النبويّ مبيّنًا رئيسًا للدلالات القرآنيَّة عند ابن عطيَّة، وله في ذلك طريقان: أوّلهما: إيراد الحديث بلفظه ومعناه، وآخرهما: إيراد الحديث بمعناه دون لفظه.

ومن ذلك ما جاء في معنى (لا قوَّة إلاَّ بالله) في قوله: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴿٣٩﴾ ﴾ الكهف: ٣٩، ذكر ابن عطيَّة أنَّ هذا القول

(١) انظر: الاستشهاد النحويّ بأقوال الصحابة عند الإمام بدر الدين العيني، ص٥٨.
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥١٨.
(٣) انظر: الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوريّ، تح: محمّد ذهني أفندي وآخرين، دار الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤هـ، ٧٣/٦.
(٤) انظر: تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، قرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ١١٣/٦.

تسليم وضدّ لقول الكافر، ثمَّ بيَّن ذلك بما روي عن النَّبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أنَّه قال لأبي هريرة: (ألا أدلّك على كَنز من كنوز الجنَّة؟ قال: افعل يا رسول الله، قال: (لا قوَّة إلاَّ بالله)؛ إذا قالها العبد قال الله -عزّ وجلّ-: أسلم عبدي واستسلم).(١)

قال أبو هريرة: قال لي نبيّ الله –صلَّى الله عليه وسلَّم-: يا أبا هريرة ألا أدلّك على كَنز من كنز الجنَّة تحت العرش؟ قال: قلت: نعم، فداك أبي وأمي، قال: أن تقول: لَا قوَّة إلَّا بالله - قال أبو بَلْجٍ: وأحسب أنَّه قال – فإن الله عز وجل يقول: أسلم عبدي، واستسلم ...(٢)

ومن ذلك ما ورد في معنى (صفًّا) في قوله: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴿٤٨﴾ ﴾ الكهف: ٤٨، ذكر ابن عطيَّة أنَّ قوله (صفًّا) مفرد نزل منزلة الجمع؛ أي صفوفًا، ثمَّ بيَّنه بما ورد في الحديث: (يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد صفوفًا يسمعهم الداعي وينفدهم البصر)، وفي حديث آخر: قال النبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: (أهل الجنَّة يوم القيامة مائة وعشرون صفًّا، أنتم منهم ثمانون صفًّا)(٣)، ونصب (صفًّا) على الحال.(٤)

قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم-: (أهل الجنَّة عشرون ومائة صفٍّ، منهم ثمانون من هذه الأمَّة، وقال عفَّان مرَّة: أنتم منهم ثمانون صفًّا).(٥)

وروي أنَّ كعب الأحبار يقول: (إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيدٍ واحد ونزلت الملائكة وصاروا صفوفًا فيقول الله تعالى: يا جبريل ائتني بجهنَّم؛ فأتى بها جبريل تُقاد بسبعين ألفَ زِمَامٍ).(٦)

نستنتج ممَّا سبق أنَّ ابن عطيَّة اتَّخذ من أحاديث النبيّ مصدرًا رئيسًا للتبيين؛ إذ بيَّن دلالات الألفاظ والتراكيب القرآنيَّة بما ورد في الأحاديث، من ذلك أنَّه بيَّن

(١) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥١٢،
(٢) انظر: مسند أحمد، للإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١ م، ١٤٩/١٤، ١٥٠.
(٣) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٢٠، ٥٢١.
(٤) انظر: البحر، ٢٧/٢.
(٥) انظر: مسند أحمد، ٢٣/٣٨، ٢٤.
(٦) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ (ت٤٣٠هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٧٤م، ٢٧٩/٨.

معنى الفعل (واصبر) بما ورد في الحديث الذي نهى النبيّ فيه عن صبر الحيوان، وهنا بيَّن فعل الأمر بالاسم، دون التقيّد بالنوع بين المبيَّن القرآنيّ والمبيّن (شاهد التبيين)

وقد بيَّن معنى التركيب بالتركيب في قوله: (ولولا إذ دخلتَ جنَّتك قلتَ ما شاء الله لا قوَّة إلاَّ بالله) بأنَّه تسليم، بما ورد في حديث النبي من أنَّها كَنز من كنوز الجنَّة، مكرِّرًا لها في الحديث، ذاكرًا جزاء قولها في الأسلوب الشرطيّ: وإذا قالها العبد قال الله: (أسلم عبدي واستسلم)، كما بيَّن معنى (صفًّا) المفرد الذي نزل منزلة الجمع بالمفرد المسبوق بلفظ العقود، (ثمانين صفًّا) وبالجمع (صفوفًا) الواردين في النصّين الحديثيّين.

٣- المبيّن النثريّ:

للشاهد النثريّ مكانة من ناحية الكيف في الاستشهاد والتقعيد عند اللغويّين، لا يقلّ عن الشاهد الشعريّ، إلاَّ أنَّ الشاهد الشعريّ يتفوَّق عليه من ناحية الكمّ؛ بسبب إيقاعات الشعر وقوافيه التي تسهِّل حفظه في الصدور وتحفِّز على إنشاده والتغنّي به.

وقد اجتمع الناس على أنَّ المنثور في كلام العرب أكثر، وأقلّ جيدًا محفوظًا، وأنّ الشعر أقلّ، وأكثر جيدًا محفوظًا؛ لأنَّ في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنثور، وقيل: ما تكلَّمت به العرب من جيد المنثور أكثر ممّا تكلَّمت به من جيد الموزون؛ فلم يحفظ من المنثور عُشره، ولا ضاع من الموزون عُشره.(١)

يتبيَّن من نصِّ ابن رشيق فصاحة النثر؛ فهو مبيّنٌ للقرآن، وقد نطقت به العرب أكثر من نطقهم بالشعر؛ إلاَّ أنَّ أوزان الشعر وقوافيه وأنغامه سهَّلت حفظه في الصدور عن النثر؛ بجانب نظم العرب الشعر وإنشادهم له في مناسباتهم، فخرًا ومدحًا ورثاءً وذمًّا وهجاءً ...

فكلام العرب منثوره ومنظومه هو المنبع الثالث للاستشهاد بعد القرآن والحديث؛ ولا يُعتمد -كثيرًا- على الشعر وحده في الاستشهاد ما لم ترد شواهد نثريَّة تعزِّز صحَّته(٢)، وتمكِّنه في الاستشهاد.

(١) انظر: العمدة، ٢٠/١.
(٢) انظر: دراسات في كتاب سيبويه، ص٧١، ٧٤.

قال مهدي المخزوميّ: "إنَّ أمثلة من الشعر لم تؤيَّد بأمثلة من النثر الصحيح لا يصحّ أن تكون أساسًا لأصل من الأصول العامَّة.[١]

وذكر السيوطيّ أنَّ كلام العرب يُحتجّ منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيَّتهم؛ ثمَّ نقل وثيقة تبيّن الناقل والمنقول والمنقول عنهم وشروط النقل؛ قال أبو نصر الفارابي في كتابه (الألفاظ والحروف): "كانت قريش أجود العرب انتقادًا للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا، وأبينها إبانة عمَّا في النفس. والذين عنهم نُقلت اللغة العربيَّة، وبهم اقتدي، وعنهم أُخذ اللسان العربيّ من بين كلام العرب هم: قيس وتميم وأسد؛ فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمه، وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثُمَّ هُذيل وبعض كِنانة وبعض الطائيّين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

وبالجملة فإنَّه لم يؤخذ عن حضريٍّ قط، ولا عن سكان البراري ممَّن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم. فإنَّه لا يؤخذ لا من لخم ولا من جُذام؛ فإنَّهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقِبط, ولا من قضاعة ولا من غسَّان ولا من إياد؛ فإنَّهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربيَّة, ولا من تغلب والنَّمِر؛ فإنَّهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانيَّة، ولا من بكر؛ لأنَّهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من عبد القيس؛ لأنَّهم كانوا سكّان البحرين مخالطين للهند والحبشة، ولا من أزْد عمان؛ لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلاً؛ لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم, ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثَقيف وسكّان الطائف؛ لمخالطتهم تجَّار الأمم المقيمين عندهم, ولا من حاضرة الحجاز؛ لأنَّ الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم.

والذي نقل اللغة واللسان العربيّ عن هؤلاء وأثبتها في كتابٍ وصيَّرها علمًا وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب."[٢]

---

(١) انظر: في النحو العربيّ نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربيّ، بيروت لبنان ط٢، ١٩٨٦م، ص١٦٦.

(٢) الاقتراح في أصول النحو، لجلال الدين السيوطيّ (ت٩١١)، ضبطه وعلّق عليه: عبد الحكيم عطيّة، راجعه وقدّم له: علاء الدين عطيّة، دار البيروني، ط٢، ٢٠٠٦م، ص٤٧، ٤٨.

ذكر ابن عطيَّة في معنى (كلمة) في قوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ الكهف:٥؛ أنَّ هذه الكلمات سمّيت (كلمة) من حيث كونها مقالة واحدة؛ ثم بيَّن كلامه بكلام العرب؛ فذكر أنَّ (العرب يستخدمون ذلك)؛ فيقولون للقصيدة كلمة، وهذه المقالة قائمة في النفس معنى واحدًا، فيحسن أن تسمَّى كلمة.(١)

ومن ذلك ما ذكره في معنى (لنعلم أيُّ الحزبينِ أحصى) في قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ الكهف: ١٢؛ إذْ ذكر أنَّ المقصود بذلك خروج ذلك الشيء إلى الوجود، (وهذا على نحو كلام العرب)؛ أي: لنعلم ذلك موجودًا.(٢)

ممَّا سبق نستنتج أنَّ النثر جاء مبيّنًا للدلالات ومعزِّزًا لها عند ابن عطيَّة؛ حيث إنَّه استعان بكلام العرب المنثور، مستخدمًا عبارات صريحة تبيّن ذلك، مثل: (والعرب يستخدومن ذلك - وهذا على نحو كلام العرب).

٤- آثار الصحابة والسابقين:

لجأ ابن عطيَّة إلى بيان المعاني بآثار الصحابة والسابقين، من ذلك بيان معنى (الكهف) في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ الكهف: ٩؛ إذ قال: الكهف هو النقب المتَّسع في الجبل وما لم يتَّسع منها فهو غار، ثم بيَّن أنَّ النحَّاس حكى عن أنس بن مالك أنَّه قال: (الكهف) الجبل، رغم أنَّ ذلك غير مشهور في اللغة.(٣)

بيَّن ابن عطيَّة معنى (الكهف) بما جاء في الأثر عن الصحابيّ أنس بن مالك أنّ (لكهف) يعني الجبل، رغم عدم شهرة المعنى المذكور في اللغة.

٥- أقوال النحاة:

أوضح ابن عطيَّة المعاني التي ذكرها بأقوال النحاة، سواء أكان شاهدًا استعماليًّا أم لغويًّا، من ذلك ما ذكره في معنى (زعمتم) في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ الكهف: ٥٢، إذ بيَّن أنَّ (الزعم) له استعمالات: أوَّلها: هو مستعمل أبدًا في غير اليقين، وثايها: أغلبه مستعمل في الكذب، ومنه ما جاء في هذه الآية، وآخرها: أرفع موضعه أن

(١) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٤٩٦.
(٢) انظر: المرجع السابق، ٣/ ٥٠٠.
(٣) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٤٩٧.

يستعمل (زعم) بمعنى أخبر حيث تبقى عهد الخبر على المخبر، كما يقول سيبويه: زعم الخليل[1]؛ فبيَّن المعنى الأخير بالشاهد الاستعماليّ في كلام سيبويه.

وقد يبيّن المعنى بشاهد لغويّ ذكره العلماء السابقين، من ذلك تبيين معنى (الجُرُز) في قوله: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ الكهف: ٨؛ إذ ذكر أنَّ (الأرض الجُرُز) هي التي لا شيء فيها من عمارة وزينة، فهي البلقع، وهذه حالة الأرض العامرة الخالية بالدين لا بدَّ لها من هذا في الدنيا جزءًا جزءًا من الأرض ثُمَّ يعمّها ذلك بأجمعها يوم القيامة، يقال: جرزتِ الأرضُ إذا ذهب نباتها بقحطٍ أو جرادٍ أو نحوه وبقيت لا شيء فيها ولا نفع، وأَرَضُون أجراز.[2]

ثمَّ نقل ابن عطيَّة قول الزجَّاج: "والجُرُز الأرض التي لا تنبت شيئًا؛ كأنَّها تأكل النبت أكلاً جُرُز"[3]، ويعضِّده قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا ﴿٢٧﴾ ﴾ السجدة: ٢٧

ويقال: (سنة جُرُز) و(سنون أجراز) لا مطر فيها، وجرز الأرض الجراد أكل ما فيها، وامرأة جروز؛ أي أكول.[4]

نستنتج ممَّا سبق أنَّ ابن عطيَّة اعتمد خمسة مبيّنات أحاديَّة في تبينن الدلالات القرآنيَّة، هي: المبيّنات الشعريَّة، والحديثيَّة، والنثريَّة، وآثار الصحابة والسابقين، وأقوال النحاة وقد اعتمد في كلّ موضعٍ نوعًا واحدًا من هذه المبيّنات دون أن يشرك معه غيره، وقد يكرّره مرَّتين في تبيين المعنى الواحد؛ ممَّا يبرهن على أنَّه يرى كفاية هذا النوع في إيضاح الدلالات وتعزيزها.

كما أنَّه عند إيراد المبيّن لم يتقيَّد بزمانٍ أو قائلٍ أو نوعٍ أو زمن الفعل، فتارة يوفِّق بين المبيَّن وشاهد التبيين؛ فيبيّن الأسماء بالأسماء ويبيّن الأفعال بالأفعال في مواضع، ويخالف بينهما تارة أخرى؛ فيبيّن الأسماء بالأفعال والعكس في مواضع أُخَر، دون الالتزام الوحدة الزمنيَّة عند تبيين الأفعال بالأفعال؛ ومن ثمَّ فلا يشترط اتِّفاق النوع أو الزمن بين المبيَّن والمبيّن (شواهد التبيين).

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٣/ ٥٢٣.
(٢) انظر: المحرَّر الوجيز، ٣/ ٤٩٧.
(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجّاج أبي إسحاق إبراهيم بن السَّري (ت٣١١ه)، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ٣/ ٢٦٩.
(٤) انظر: البحر، ٩١/٦.

وبعقد موازنة بين الشواهد أحاديَّة النوع للمبيّنات الدلاليَّة يتبيَّن أنَّ الشاهد الشعريّ يرد في المرتبة الأولى، ثُمَّ يأتي في المرتبة الثانية الشاهد الحديثيّ، وقد يورد حديثين في الموضع الواحد، ثم يأتي في المرتبة الثالثة الشاهد النثري من أقوال العرب، ثُمَّ أقوال النحاة، ويرد في المرتبة الأخيرة في التبيين آثار الصحابة والسابقين.

المبحث الثاني: ثنائيَّة المبيّنات

زاوج ابن عطيَّة بين المبيّنات كمًّا وكيفًا، فأورد مبيّنين اثنين مع تنوّعهما لإيضاح الدلالة القرآنيَّة في الموضع الواحد؛ ولذلك برزت ثنائيَّة التبيين عنده، وبيان ذلك فيما يلي:

١- آثار الصحابة والسابقين والمبيّن القرآنيّ:

تُعدُّ الشواهد القرآنيَّة أعلى الشواهد رتبة؛ لأنّ القرآن أفصح الكلام هو المصدر الأوَّل في التقعيد؛ فكما فسَّر العلماء القرآن بالقرآن وأعربوا القرآن بالقرآن؛ بيَّنوا دلالات القرآن بالقرآن.

وقد اعتمد سيبويه وتبعه النحاة، القرآن المصدر الأوَّل في الاستشهاد؛ فهو يذكر الشاهد القرآنيّ، ثمَّ يذكر ما ورد عن العرب وما سمعه من شيوخها ومن يثق به من الرواة، ثمّ الشواهد الشعريَّة.(١)

وقد جمع ابن عطيَّة بين آثار الصحابة والقرآن ليبيّن معنى (قيّما) في قوله : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ۝٢ ﴾ الكهف: ٢؛ إذ روى قول ابن عبّاس والضحّاك أنَّ معنى (قيّمًا) مستقيمًا، وذكر المهدوي أنَّه قيل معناه: أنَّه قيّم على سائر الكتب بتصديقها، وهذا محتمل وليس من الاستقامة، ويصحّ أن يكون معنى (قيّمًا) قيامه بأمر الله على العالم، وهذا المعنى يؤيّده ما بعده من النذارة والبشارة اللذين عمَّا العالم(٢)، وذلك في قوله: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ ﴾ الكهف: ٢

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ ابن عطيَّة أورد في إيضاح معنى (قيّمًا) ما روي عن ابن عبّاس والضحَّاك، ثمَّ ما ورد في الآية القرآنيَّة ذاتها؛ فبيَّن المعنى بآثار السابقين والمبيّن القرآنيّ، مكتفيًا بذكر معنى الآية دون نصِّها، مقدِّمًا آثار السابقين ابن عبّاس والضحَّاك والمهدوي على المبيّن القرآنيّ؛ ومن ثَمَّ فمتى اجتمع آثار الصحابة والسابقين مع مبيّن آخر في إيضاح الدلالة وتعزيزها، كانت الصدارة لآثار الصحابة والسابقين.

ومن ذلك معنى (المُهل) في قوله: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ ۝٢٩ ﴾ الكهف: ٢٩؛ إذ ذكر قول أبي

(١) انظر: دراسات في كتاب سيبويه، ص١٢.
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٤٩٥.

سعيد عن النبيّ: هو دُرْدِيُّ الزيت إذا انتهى حرّه ... وقالت فرقة: (المُهل) الصديد والدم إذا اختلطا، وقال أبو بكر الصدّيق في الكفن: (إنَّما هو **هـ يهـ تـ)؟لآ م بـ ذ بـم ق لآك هـ؛ ى ْ وبـك مهـ:** ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ ﴾ إبراهيم: ١٦، يقصد به المُهل.(١)

عن عائشة قالت: دخلت على أبي بكر فقال: في كم كفَّنتُم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سَحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وقال لها: في أي يوم توفي رسولُ -ﷺ؟ قالت: يومَ الإثنين، قال: فأيُّ يوم هذا؟ قالت: يوم الإثنين، قال: أرجو فيما بيني وبينه الليلة، فنظر إلى ثوب عليه كان يمرض فيه، به رَدْعٌ من زعفران فقال: اغسلوا ثوبي هذا، وزيدوا عليه ثوبين فكفّنوني فيهما، قلت: إنَّ هذا خَلَقٌ، قال: إن الحيَّ أحقّ بالجديد من الميت، إنّما هو للمهلة، فلم يتوفَّ حتى أمسى من ليلة الثلاثاء، ودُفن، قبل أن يُصبح).(٢)

لقد نوَّع ابن عطيَّة في استخدامه لمبيّنات الدلالة بين آثار الصحابة كأبي بكر الصديق، والمبيّن القرآنيّ؛ مقدِّما آثار الصحابة على المبيّن القرآنيّ في إيضاح الدلالة، ومن ثمَّ فإنَّ المبيّن القرآنيّ يرد في مرتبة متأخِّرة عندما يشرك معه غيره من المبيّنات؛ لأنَّه يبيّن المعنى القرآنيّ فيقدِّم المبينات الأخرى ثمّ يختم بالمبيّن القرآنيّ.

٢- آثار الصحابة والسابقين والمبيّن الحديثيّ:

جمع ابن عطيَّة بين آثار الصحابة والمبيّن الحديثيّ لإيضاح المراد بـ(ما) في قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا ﴿٧﴾ ﴾ الكهف: ٧؛ قيل: **(نبـ) م ُ ك ؟ خ زى بـة ح غ بـة ْبش: وئبنبـم ح بـم؛ ك بمهـ نـ بو ؛ ىزى غ نـتوؤ ُ بـم تـ:بـم مقبآ صمهـ بـآ ي لإنب آ؛ ك :لآبـذ تـوبـلآبـذ هـبـمـَ ن م ف بـمغك ؟ خ كبم ق ك تـ:وئبنبـم غ صم صم بز صم تـ صم بهـىه وب نـ ُبـ هس تـ.**(٣)

وقالت فرقة: أراد كلّ ما على الأرض عمومًا وليس شيء إلاَّ وفيه زينة من جهة خلقه وصنعته وإحكامه، ثمَّ بيَّن معنى هذه الآية بقول النبي -عليه السلام-:

(١) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥١٣ ـ ٥١٦.
(٢) انظر: الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتّب على أبواب الفقه، لأبي أحمد محمّد عبد الله الأعظمي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠١٦م، ٥٩٥/٨.
(٣) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٤٩٦، والبحر، ٩٦/٦.

(الدنيا خضرة حُلوة وإنَّ الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون؛ فاتَّقوا الدنيا واتَّقوا النساء).[١]

عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- أنَّه قال: (إنَّ الدنيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإنَّ الله -عزَّ وجلّ- مستخلفكم فيها، لينظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدنيا واتَّقوا النساء، فإنَّ أوَّل فتنتة بني إسرائيل كانت في النساء).[٢]

لقد قدَّم ابن عطيَّة أقوال السابقين كابن جبير عن ابن عبَّاس ومُجاهد وعكرمة وغيرهم على المبيّن الحديثيّ في إيضاح الدلالة القرآنيَّة؛ فمتى اجتمع آثار الصحابة والسابقين مع مبيّنات أخرى كانت الصدارة لآثار الصحابة والسابقين.

ومن ذلك تبيين المقصود بـ(الباقيات الصالحات) في قوله: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ الكهف: ٤٦، قال الجمهور: هي الكلمات المأثور فضلها (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم)، ثم ذكر أنّه روي في هذا حديث: (أكثروا من الباقيات الصالحات)، وقاله أيضًا ابن عباس، وروي عن رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- من طريق أبي هريرة وغيره أنَّ هذه الكلمات هي الباقيات الصالحات.[٣]

عن أبي سعيد الخدريّ، عن رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: (استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: المِلَّة"، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: المِلَّة"، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله).[٤]

نستنتج ممَّا سبق أنَّ ابن عطيَّة اعتمد آثار الصحابة والسابقين كابن جبير، وابن عبَّاس، ومُجاهد، وعكرمة مبيّنًا للدلالة القرآنيَّة، وقد يبيّن الدلالة برأي الجماعة في آنٍ واحد، فيقول: وقالت فرقة أو قال الجمهور، ثمَّ يذكر حديث النبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-؛ إذ يتكرَّر التركيب بلفظه ومعناه في الحديث الذي يأتي شارحًا لما في القرآن، كما في حديث (الباقيات الصاحات).

(١) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٤٩٧.
(٢) انظر: مسند أحمد، ٢٦١/١٧.
(٣) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٢٠.
(٤) انظر: مسند أحمد، ٢٤١/١٨.

٣- المبيّن النثريّ والمبيّن الشعريّ:

جمع ابن عطيَّة بين المبيّنات الشعريَّة والنثريَّة في إيضاح الدلالات القرآنيَّة، من ذلك تبيين معنى (شططًا) في قوله: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ الكهف: ١٤؛ فذكر أنَّ الشطط الجور، وتعدّي الحدّ والغلوّ بحسب الأمر، ومنه: اشتطَّ الرجل في السوم، إذا جاوز القدر وطلب في سلعته فوق قيمتها، ومنه شطوط النوى والبُعد، ومنه قول الأحوص:

ألا يا لقومي قد اشتطّ عواذلي ويزعمن أن أودى بحقّي باطلي[١]

أي جاوزوا الحدّ.[٢]

لقد زاوج ابن عطيَّة بين المبيّن النثريّ والمبيّن الشعريّ للأحوص، مقدّما المبيّن النثريَ، كما أنَّه بيَّن الاسم (شططًا) بالفعل (اشتطَّ) في قول الأحوص؛ فخالف بين المبيَّن والمبيّن في النوع من حيث الاسميَّة والفعليَّة؛ فلا يشترط اتّفاق النوع في بين المُبيَّن والمبيّن (شاهد التبيين).

ومن ذلك تبيين معنى (غلامًا)، في قوله: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴿٧٤﴾ ﴾ الكهف: ٧٤؛ ذكر ابن عطيَّة أنَّه كان غلامًا بالغًا شابًّا؛ والعرب تبقي على الشاب اسم الغلام، ومنه قول ليلى الأخيليَّة تمدح حزم الحجَّاج وقدرته على القضاء على المتمرّدين:

شفاها من الداء الذي قد أصابها غُلامٌ إذا هزَّ القناةَ سقاها[٣]

تقصد بـ(غلام) الحجَّاج.[٤]

أطلقت الشاعرة كلمة (الغلام) على الكبير مجازًا بحسب ما كان؛ ولذلك ذكر جملة (والعرب تبقي على الشاب اسم الغلام) ثمَّ أردفه ببيت ليلى الأخيليَّة، من خارج عصر الاحتجاج.

وقد جمع ابن عطيَّة بين المبيّنين في معنى (ردمًا) في قوله: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ الكهف: ٩٥؛ إذ قال: "والردم أبلغ من

(١) البيت من الطويل للأحوص في ديوانه، برواية (أَشَطَّت)، ص٢٢٤.
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٠١، والبحر، ١٠٢/٦.
(٣) البيت من الطويل، لليلى الأخيليَّة في ديوانها ص٨٩، برواية (شفاها من الداء العُضال الذي بها).
(٤) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٣٢.

السدّ؛ إذ السدّ كلّ ما سدّ به، والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومنه: ردم ثوبه، إذا رقَّعه برقاع متكاثفة، بعضها فوق بعض، ومنه قول الشاعر:

هل غادر الشعراء من متردّم[١]

من قول يركب بعضه على بعض[٢]؛ أي "هل أبقى الشعراء لأحد معنى إلا وقد سبقوا إليه؟"[٣] أو هل ترك الشعراء خللاً في المعاني فيُسدَ ردمًا.[٤]

نستنتج ممَّا سبق أنَّ ابن عطيَّة جمع بين المبيّنات الشعريَّة والنثريَّة في تبيين الدلالة الواحدة التي أوردها في معاني الأسماء المنصوبة (شططًا – غلامًا – ردمًا)، وفي كلِّ مرّة يقدِّم المبيّن النثريّ على الشعريّ، كما أنَّه عند أورد مبيّنًا شعريًّا لليلى الأخيليّة من خارج عصر الاحتجاج، وبيتًا منسوبًا للأحوص، وشطر بيت لعنترة بن شدَّاد أحد شعراء عصر الاحتجاج؛ أي نوَّع في المبيّنات الشعريَّة للدلالات القرآنيَّة؛ فلم يلتزم عصور الاحتجاج ولا الشواهد مؤكَّدة النسبة.

٤- المبيّن الشعريّ وآثار الصحابة والسابقين:

استعان ابن عطيَّة بالمبيّن الشعريّ والمعنى اللغويّ عند السابقين في بيان معنى (سرادقها) في قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ ﴿٢٩﴾﴾ الكهف: ٢٩؛ إذ قال: (السُّرادق) الجدار المحيط كالحجرة التي تدور وتحيط بالفسطاط، وقد تكون من نوع الفسطاط أديمًا أو ثوبًا أو نحوه، ومنه قول رؤبة:

يا حكم بن المنذر الجارود سرادق والمجد عليك ممدود

وقول سلامة بن جَندل:

هو المولجُ النعمانَ بيتًا سماؤه صدور الفيولِ بعد بيتٍ مُسردقِ[٥]

وقال الزجَّاج: السرادق كلّ ما أحاط بشيء.[٦]

(١) البيت لعنترة بن شدَّاد في شرح ديوان عنترة، ص١٤٧.
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٤٢.
(٣) شرح ديوان عنترة، ص١٤٧.
(٤) انظر: البحر، ١٤٩/٦.
(٥) البيت من الطويل لسلامة بن جَندل في ديوانه، ص١٨٢، برواية (هو المُدخلُ... نحور الفيولِ...)
(٦) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥١٣.

بيّن ابن عطيَّة معنى (سرادق) وعزَّزه بشعر كلٍّ من رؤبة بن العجَّاج وسلامة بن جندل، ثمَّ أردف هذين المبيّنين بالشاهد اللغويّ المعجميّ عند الزجَّاح.

ومن ذلك إيضاح معنى (الفردوس)، في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ الكهف: ١٠٧؛ ذكر قول قتادة: الفردوس أعلى الجنَّة وربوتها، وأبي هريرة: الفردوس جبل تنفجر منه أنهار الجنَّة، وأبي أمامة: الفردوس سرَّة الجنة ووسطها، وروى أبو سعيد الخدري أنَّه تنفجر منه أنهار الجنَّة، وقال عبد الله بن الحارث بن كعب: إنَّه جنَّات الكرم والأعناب خاصّة من الثمار، وقاله كعب الأحبار، واستشهد قوم لذلك بقول أميَّة بن أبي الصلت:

كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرةً فيها الفراديسُ والفومانُ والبصلُ(١)

الفراديس جمع فردوس، وهي البساتين والكروم.(٢)

لقد أوضح ابن عطيَّة معنى (الفردوس) بستَّة آثار لـقتادة وأبي هريرة وأبي أمامة وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن الحارث بن كعب وكعب الأحبار، ثمَّ أردف ذلك ببيت أميَّة بن أبي الصلت.

ومن حيث رتبة المبيّنات، قدَّم المبيّنين الشعريّين لرؤبة بن العجَّاج وسلامة بن جندل على قول الزجَّاج في الموضع الأوَّل، وقدَّم آثار الصحابة والسابقين الستَّة على المبيّن الشعريّ لأميَّة بن أبي الصلت في الموضع الثاني؛ أي يقدِّم الكثير على القليل، ومتى اجتمع عنده آثار الصحابة والسابقين مع أي مبيّنات أخرى، كانت الصدارة لآثار الصحابة والسابقين.

ويتجلَّى منهج ابن عطيَّة في التبيين هنا؛ فمن حيث الكمِّ يقدّم المبيِّن الأكثر من ناحية الكمِّ؛ ولذلك قدَّم المبيّنين الشعريّين على قول الزجَّاج عند بيان معنى (سرادقها)، وقدَّم أقوال الصحابة والسابقين الستَّة على المبيّن الشعريّ لأميَّة بن أبي الصلت في بيان معنى (الفردوس).

وقد ورد اللفظ القرآنيّ (الفردوس) بصيغة المفرد، بينما في المبيّن الشعريّ ورد بصيغة الجمع (الفراديس)؛ فاختلف النوع بين المبيّن والمبيَّن؛ ومن ثمَّ فإنَّ شواهد التبيين لا يشترط فيها اتِّحاد النوع من حيث الإفراد والجمع؛ إنَّما ترد متَّفقة ومختلفة إفرادًا وجمعًا.

(١) البيت من البسيط، لأميَّة بن أبي الصلت في ديوانه، ص٩٨.
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٤٦.

٥- المبيِّن القرآنيّ والمبيّن النثريّ:

جمع ابن عطيَّة بين القرآن وكلام العرب النثريّ في بيان معنى (هشيمًا) في قوله: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ ﴿٤٥﴾ ﴾ الكهف: ٤٥؛ إذ ذكر أنَّ الهشيم هو المفتَّت من يابس العُشب، ثمَّ ذكر أنَّ منه قوله: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ القمر: ٣١، ومنه هشَّم الثريد(١) فتَّته.

قدَّم ابن عطيَّة المبيّن القرآنيّ على المبيّن النثريّ؛ لأنَّ الآية التي ذكرها شاهد تبيين ورد بها المعنى المراد في تركيب تشبيهيّ يبيّن المعنى ويعزّزه.

٦- المبيِّن الحديثيّ والمبيّن القرآنيّ:

جمع ابن عطيَّة بين القرآن والحديث في إيضاح الدلالة القرآنيَّة في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ ﴿٤٨﴾ ﴾ الكهف: ٤٨؛ إذ ذكر أنَّ المعنى يفسّره قول النبيّ ﷺ : (إنَّكم تُحشرون إلى الله حُفاةً عُراةً غُرلاً)، ﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٤، فالحشر كالبدء والميلاد(٢)؛ أي جعل هيئة الحشر كهيئة الميلاد.

وقد بيَّن ابن عطيَّة معنى الآية بالحديث، المختوم بآية قرآنيَّة تعزّز المعنى وتزيده بيانًا ووضوحًا.

وقوله (لقد جئتمونا) معمول لقول محذوف؛ أي وقلنا، و(كما خلقناكم) نعت لمصدر محذوف؛ أي مجيئا مثل مجيء خلقكم، حُفاة عُراة غُرلاً، كما في الحديث، وخالين من المال والولد.(٣)

عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس، قال: قام فينا النبيّ ﷺ يخطب فقال: (إنَّكم تحشرون حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا: ﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ ﴾ الآية).(٤)

وفي هذه الموضع قدَّم المبيّن الحديثيّ؛ لأنَّه يشتَمل على المبيّن القرآنيّ؛ ومن ثمَّ فالمبيّن الحديثيّ أصل مكين في بيان الدلالة القرآنيَّة في الحرَّر الوجيز.

---

(١) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٢٠.
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٢١.
(٣) انظر: البحر، ١٢٨/٦.
(٤) انظر: صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط٥، ١٩٩٣م، ٢٣٩١/٥.

والجدول التالي يبيّن المبيّنات الثنائيَّة التي أوردها ابن عطيَّة، مرتبة كما أوردها:

م	المبيَّن القرآنيّ	المبيّن الأوَّل	المبيّن الثاني
١	قيمًا	آثار الصحابة والسابقين	القرآن
٢	المُهل	آثار الصحابة والسابقين	القرآن
٣	... ما على الأرض زينة لها	آثار الصحابة والسابقين	الحديث
٤	والباقيات الصالحات	آثار الصحابة والسابقين	الحديث
٥	شططًا	النثر	الشعر
٦	غلامًا	الشعر	النثر
٧	ردمًا	النثر	الشعر
٨	سرادقها	الشعر	آثار الصحابة والسابقين
٩	الفردوس	آثار الصحابة والسابقين	الشعر
١٠	هشيمًا	القرآن	النثر
١١	كما خلقناكم أول مرة	الحديث	القرآن

نستنتج من الجدول السابق أنَّه متى اجتمع مبيّنان لإيضاح الدلالة القرآنيَّة في المحرَّر الوجيز، وكان آثار الصحابة والسابقين أحدهما فالأغلب أن يكون له الرتبة الأولى (الصدارة) بين المبيّنين، وإن كان المبيّن الآخر معه هو المبيّن القرآنيّ أو الحديثيّ أو الشعريّ.

ويتساوى كلّ من المبيّن القرآني والمبيّن الحديثيّ والمبيّن النثريّ والمبيّن الشعري في المحرَّر الوجيز–عند ثنائيَّة المبيّنات- في احتلال المرتبة الأولى أو الثانية على السواء.

ومتى اجتمع المبيّن النثريّ والمبيّن الشعري من أجل إيضاح دلاليّ في المحرَّر الوجيز، فقد تكون الصدارة للمبيّن النثريّ، وقد تكون للمبيّن الشعريّ؛ فهما في الصدارة والتأخُّر سواء.

وقد قدَّم ابن عطيَّة المبيّن الحديثيّ على المبيّن القرآنيّ عند اشتراكهما في إيضاح الدلالة، وكذلك قدَّم المبيّن النثريّ على المبيّن الشعريّ عند اشتراكهما في إيضاح الدلالة.

وبعقد موازنة بين الشواهد ثنائيَّة النوع للمبيّنات الدلاليَّة يتبيَّن أنَّ مبيّن آثار الصحابة والتابعين كثير الورود في الثنائيَّة التبيينيَّة؛ إذا اشترك مع كلٍّ من القرآن والحديث والشعر؛ فله الصدارة في المرتبة الأولى، ثم يحلُّ المبيّن القرآنيّ في المرتبة الثانية؛ إذ اشترك مع كلٍّ من آثار الصحابة والتابعين والنثر ومع الحديث في الثنائيَّة التبيينيَّة، ثُمَّ يأتي في المرتبة الأخيرة كلٌّ من المبيّن الحديثيّ والمبيّن النثريّ والمبيّن الشعريّ من حيث الورود في الثنائيَّات التبيينيَّة.

المبحث الثالث: تعدُّد المبيّنات

جمع ابن عطيَّة بين مبيّنات الدلالات كمًّا وكيفًا لإيضاح الدلالات وتعزيزها؛ فمن حيث الكمِّ أورد ثلاثة مبيّنات في الموضع الواحد، ومن حيث الكيف نوَّع بينها؛ مقدمًا بعضها على الآخر.

١- المبيِّن القرآنيّ والمبيِّن النثريّ والمبيِّن الشعريّ:

جمع ابن عطيَّة بين ثلاثة مبيّنات، هي القرآن والنثر والشعر في بيان معنى (فضربنا على آذانهم) في قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ الكهف: ١١، فالآية تبيّن إلقاء الله النوم عليهم، ويعبّر عن هذا ونحوه بـ(الضرب) لتبيّن قوّة المباشرة، وشدَّة اللصوق في الأمر المتكلّم فيه والإلزام، ومنه ضَرْبُ الذلَّة والمسكنة في قوله: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦، وضَرْبُ الجزية، وضَرْبُ البعث، ومنه قول الفرزدق في هجاء جرير:

ضرَبَتْ عليك العَنكبوتُ بنسجها وقضى عليك به الكتابُ المُنْزَلُ[١]

فهذا يستعمل في اللزوم البليغ.[٢]

وسبب تخصيص (الآذان) بالذكر؛ أنَّها هي التي يكون منها السمع، وهي الجارحة التي منها عظم فساد النوم، وقلَّما ينقطع نوم نائم إلاَّ من جهة أذنه، ولا يستحكم نوم إلاَّ مع تعطّل السمع، ثمَّ بيَّن هذا المعنى بأنَّ من ذكر الأذن في النوم قوله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: (ذلك رجل بال الشيطان في أذنه)[٣]، أشار عليه السلام إلى رجل استثقل نومه جدًّا حتَّى لا يقوم بالليل. ومفعول ضربنا محذوف أي: حجابًا من أن يسمع.(٤)

فقوله (فضربنا على آذانهم) استعارة بديعة للإنامة المستثقلة التي لا يكاد يسمع معها.[٥]

ومن حيث الرتبة جعل الصدارة للمبيّن القرآنيّ، يتلوه المبيّنان النثريّان، ثم المبيّن الشعريّ للفرذدق، من خارج عصر الاحتجاج.

---

(١) انظر: البيت من الكامل، للفرزدق في ديوانه، ص ٤٩٠.
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٠٠.
(٣) ذُكر عند النبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- رجل نام ليله حتَّى أصبح، قال: (ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ)، صحيح البخاري، ١١٩٣/٣.
(٤) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٠٠، والبحر، ٩٩/٦، ١٠٠.
(٥) انظر: البحر، ٩٩/٦.

٢- المبيّن الشعريّ والمبيّن النثريّ والمبيّن الحديثيّ:

جمع ابن عطيَّة بين المبيّن الشعريّ والنثريّ والحديثيّ؛ في بيان معنى (ففسق عن أمر ربه) وتعزيزه في قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴿٥٠﴾ ﴾ الكهف: ٥٠؛ إذ ذكر أنَّ معنى (فسق) خرج، ثُمَّ بيَّن هذا المعنى بقول رؤبة بن العجَّاج:

تَهْوِينَ في نجدٍ وغَوْرًا غائرًا فواسقًا عن قصدها جوائرا[١]

ثُمَّ ذكر أنَّ منه: فسقتِ الرطبة إذا خرجت من قِشْرتها، وفسقتِ النواة إذا خرجت عن الثمرة، وفسقتِ الفأرة إذا خرجت من جحرها، وجميع هذا الخروج المستعمل في هذه الأمثلة، إنَّما هو في فساد، وقول النبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: (خمس فواسق يُقتلن في الحرم إنَّما هي مفسدات)؛ أي فواسق مفسدات.[٢]

عن عائشة عن النبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: (خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ، الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْحُدَيَّا، وَالْغُرَابُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ)[٣]، وجاء في صحيح مسلم: (أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلِ خَمْسٍ فَوَاسِقَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ).[٤]

فالأصل عدم الخروج؛ لأنَّ الخروج مغادرة المكان الصحيح، فيقع الفساد؛ وكلّ شيء فسق معناه: خرج عن الأصل ففسد.

وجاءت الصدارة للمبيّن الشعريّ لرؤبة بن العجَّاج، أحد شعراء عصر الاحتجاج، ثمَّ تبعته بلمبينات النثريَّة الثلاثة، ثُمَّ خُتِم تبيين المعنى بالمبيّن الحديثيّ.

٣- آثار السابقين والمبيّن القرآنيّ والمبيّن النثريّ:

جمع ابن عطيَّة بين آثار السابقين والمبيّن القرآني والمبيّن النثريّ في تبيين معنى (الرقيم) في قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ الكهف: ٩؛ إذ ذكر قول ابن عبّاس: الرقيم كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسَّكوا به من دين عيسى، وقيل من دين قبل عيسى، وقال أيضًا: الرقيم كتاب في لوح رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فرّ الفتية منهم قصَّتهم وجعلوها تاريخًا لهم، ذكروا فيه وقت فقدهم، وكم كان عددهم، وبني من كانوا،

(١) البيت من الرجز لرؤبة في ديوانه، ص١٩٢، واللسان (فسق)، والبحر، ١٢٩/٦ برواية (يَهْوِينَ - حوائرًا).
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٢٢.
(٣) صحيح البخاري، ١٢٠٤/٣.
(٤) صحيح مسلم، ١٨/٤.

وقال ابن زيد: الرقيم كتاب عمى الله علينا أمره ولم يشرح لنا قصَّته، وقالت فرقة: الرقيم كتاب في لوح نحاس، وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من الحجارة كتبوا فيه قصَّة أصحاب الكهف، ووضعوه على باب الكهف، وهذه الأقوال مأخوذة من الرقم، ومنه قوله: ﴿ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ ۝٩ ﴾ المطففين: ٩، ومنه الأرقم لتخطيطه، ومنه رقمة الوادي أي مكان جري الماء وانعطافه، يقال: عليك بالرقمة وخل الضفَّة، وقال النقّاش عن قتادة: الرقيم دراهمهم، وقال أنس بن مالك والشعبي: الرقيم الكلب، وقال عكرمة: الرقيم الدواة، وقالت فرقة: الرقيم كان لفتية آخرين في السراة جرى لهم ما جرى لأصحاب الكهف، وروي عن ابن عباس أنَّه قال ما أدري ما الرقيم أكتاب أم بنيان؟ وروي أنَّه قال: كلّ بالقرآن أعلمه إلا الحنَّان والأوَّاه والرقيم.(١)

ومن ثمَّ فإنَّ ابن عطيَّة نوَّع في تبيين دلالة (الرقيم) كمًّا وكيفًا؛ فأمَّا الكمّ فإنَّه ذكر ثلاثة مبيّنات، وأمَّا الكيف فإنَّه نوَّع هذه المبيّنات الثلاثة بين آثار السابقين والمبيّن القرآنيّ والمبيّن النثريّ (ثلاث مبيّنات نثريَّة في المعنى الواحد).

وقد ذكر طائفة من آثار السابقين تبيّن معنى (الرقيم)، وهم: ابن عبّاس ذكر له ثلاثة أقوال، وابن زيد، وسعيد بن جبير، والنقَّاش عن قتادة، وأنس بن مالك، وعكرمة، والشعبي، وفرقتان لكلّ فرقة منهما قول في معنى الرقيم؛ يذكر قبله عبارة: (وقالت فرقة).

٤- آثار السابقين والمبيّن النثريّ والمبيّن الشعريّ:

جمع ابن عطيَّة بين أقوال السابقين والمبيّن النثريّ والمبيّن الشعريّ؛ لتقوية معنى (أسفًا) في قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ الكهف:٦؛ إذ روى قول الزجَّاج: "والأسف المبالغة في الحزن أو الغضب"(٢)، كما روى قول القاضي أبي محمَّد ومنذر بن سعيد: و(الأسف) هنا الحزن؛ لأنَّه على من لا يملكه ولا هو تحت يد الآسف، ولو كان الأسف من مقتدر على من هو في قبضته وملكه لكان غضبًا، كقوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ ۝٥٥ ﴾ الزخرف: ٥٥؛ أي أغضبونا، ثُمَّ قال ابن عطيَّة: وإذا تأمَّلت

(١) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٤٩٧، ٤٩٨.
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجّاج، ٣/ ٢٦٩.

هذا في كلام العرب اطَّرد، وقال قتادة: هنا (أسفًا) غضبًا، وقال أيضًا: حزنًا، وقال مُجاهد: أسفًا، ومن هذه اللفظة قول الأعشى:

أرى رجلاً منكم أسيفًا كأنّما يضمُّ إلى كشحيه كفًّا مخضَّبًا[1]

يريد حزينًا غضبانًا كأنَّه مقطوع اليد.[2]

ومن ثمَّ فإنَّ ابن عطيَّة نوَّع في تبيين دلالة (أسفًا) كمًّا وكيفًا؛ فأمَّا الكمّ فإنَّه ذكر ثلاثة مبيّنات، وأمَّا الكيف فإنَّه نوَّع هذه المبيّنات الثلاثة بين آثار السابقين والمبيّن النثريّ والمبيّن الشعريّ، وقد ذكر طائفة من آثار السابقين تبيّن معنى (أسفًا)، هم: الزجَّاج والقاضي أبو محمَّد ومنذر بن سعيد وقتادة ومُجاهد، ثمّ بيَّن أنَّ هذا المعنى مطَّرد في كلام العرب، مستخدمًا عبارة: (وإذا تأمَّلت هذا في كلام العرب اطَّرد)، ثمَّ أردف هذه المبيّنات بمبيّن شعريّ للأعشى ميمون بن قيس، أحد شعراء عصر الاحتجاج.

٥- آثار السابقين والمبيّن الشعريّ والمبيّن الحديثيّ:

جمع ابن عطيَّة بين آثار السابقين والمبيّن النثريّ والمبيّن الشعريّ، في بيان سبب تسمية (ذي القرنين) بهذا الاسم في قوله عز وجل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴿٨٣﴾ ﴾ الكهف: ٨٣؛ إذ روى ابن عطيَّة عن المهدوي وغيره أنَّ أحسن الأقوال في تسمية (ذي القرنين) بهذا الاسم: أنَّه كان ذا ضفيرتين من شعرهما قرناه؛ فسمّي بهما، والصفائر قرون الرأس، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

فلثمت فاها آخذًا بقرونها شُرْبَ النزيفِ ببرد ماء الحشرجِ[3]

ومنه حديث في غُسل بنت النبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- قالت أم عطيَّة: (فضفرنا رأسها ثلاثة قرون)، وكثيرًا تجئ تسمية النواصي قرونًا.[4]

عن حفصة عن أم عطية قالت: توفيت إحدى بنات النبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم، فأتانا النبيّ فَقَالَ: (اغْسِلْنَهَا بِالسِّدْرِ وِتْرًا، ثلاثًا أو خمسًا، أو أكثر من ذلك إن رأيتُنَّ ذلك، واجعلن في الآخرة كافورًا، أو شيئًا من كافور، فإذا فرغتُنَّ فآذنّني)؛ فلمَّا فرغنا آذنَّاه، فألقى إلينا حِقوة، فَضَفَرْنَا شعرها ثلاثة قرونٍ، وألقيناها خلفها).[5]

(١) البيت من الطويل للأعشى في ديوانه، ص١١٥، واللسان (خضب).
(٢) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٤٩٦.
(٣) البيت من الكامل منسوب لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه، ص٩٢.
(٤) انظر: المُحَرَّر الوجيز، ٣/ ٥٣٨.
(٥) انظر: صحيح البخاري، ٤٢٥/١.

جمع ابن عطيَّة في بيان سبب التسمية بين آثار السابقين والمبيّن الشعريّ والمبيّن الحديثيّ؛ بادئاً بقول المهدوي، يتلوه المبيّن الشعريّ غير مؤكّد النسبة أو المنسوب لعمر بن أبي ربيعة، ثُمَّ الحديثيّ؛ فالصدارة لآثار السابقين، والتأخير للمبيّن الحديثيّ.

والجدول التالي يبيّن المبيّنات الثلاثيَّة التي أوردها ابن عطيَّة مرتبة كما أوردها:

م	المبيَّن القرآنيّ	المبيّن الأوَّل	المبيّن الثاني	المبيّن الثالث
١	فضربنا على آذانهم	القرآن	النثر	الشعر
٢	ففسق عن أمر ربّه	الشعر	النثر	الحديث
٣	الرقيم	آثار السابقين	القرآن	النثر
٤	أسفًا	آثار السابقين	النثر	الشعر
٥	ذي القرنين	آثار السابقين	الشعر	الحديث

نستنتج من الجدول السابق أنَّه متى اجتمعت ثلاثة مبيّنات للدلالة عند ابن عطيَّة، فالصدارة تكون للقرآن أو الشعر أو آثار السابقين، ومتى جاءت آثار السابقين في هذه المبيّنات كانت أوَّل هذه المبيّنات رتبةً، أمَّا المبيّن الحديثيّ فإنَّه يرد آخر المبيّنات رتبة.

ويحتلّ المبيّن القرآني عنده –عند تعدُّد المبيّنات- المرتبة الأولى أو الثانية، أمَّا المبيّن الشعريّ فإنَّه قد يرد في المرتبة الأولى أو الثانية أو الأخيرة، وأمَّا المبيّن النثريّ فإنَّه لا يرد في المرتبة الأولى (الصدارة) أبدًا؛ إنَّما يحتلُّ المرتبة الثانية أو الأخيرة.

ومتى اجتمع المبيّن النثريّ والمبيّن الشعري من أجل إيضاح دلاليّ في المحرَّر الوجيز، فقد تكون الصدارة للمبيّن النثريّ، وقد تكون للمبيّن الشعريّ؛ ومن ثَمَّ فهما في الصدارة والتأخُّر سواء.

ومتى اجتمع المبيّن القرآني مع المبيّن النثريّ أو المبيّن الشعريّ عند إيضاح الدلالات في المحرَّر الوجيز؛ فإنَّ الصدارة تكون للمبيّن القرآنيّ.

وبعقد موازنة بين الشواهد ثلاثية النوع للمبيّنات الدلاليَّة يتبيَّن أنَّ المبيّن النثريّ والمبيّن الشعريّ يحتلاَّن المرتبة الأولى عند تعدُّد المبينات؛ ثُمَّ يأتي في

المرتبة الثانية آثار الصحابة والسابقين، ويحلُّ في المرتبة الأخيرة كلٌّ من المبيّن القرآنيّ والمبيّن الحديثيّ.

ومن حيث الموضع (الصدر والوسط والعجز) يتصدَّر مبيّن آثار السابقين باقي المبيَّنات من حيث الرتبة؛ إذ يُذكر أوَّلاً قبل ما يشترك معه من مبيّنات في جميع المواضع التي يرد فيها، أمَّا المبيّن الشعريّ فإنَّه يرد في المواضع الثلاثة في صدر المبيّنات ووسطها وعجزها، أمَّا المبيّن القرآنيّ فإنَّه قد يرد في صدر المبيّنات أو وسطها عند تعدُّدها.

ورفم أنَّ المبيّن النثريّ يحتل المرتبة الأولى في الورود من حيث الكمّ فإنَّه من حيث الموضع لا يتصدَّر المبيّنات إنَّما ياتي في وسطها أو عجزها؛ أمَّا المبيّن الحديثيّ فإنَّه يرد في عجز المبيّنات عند تعدُّدها؛ أي يتقدَّم عليه ما يشترك معه من مبيّنات.

الخاتمة:

بعد التطواف في موضوع (مبيّنات الدلالة في المحرَّر الوجيز لابن عطيَّة: سورة الكهف نموذجًا) تمخَّض البحث عن النتائج التالية:

- مبيّنات الدلالة ليست شواهد احتجاج أو تقعيد؛ فلا تدخلها الصنعة ولا تغيير الرواية؛ لأنَّ هذا كلَّه هدفه تثبيت حكم نحويّ أو الانتصار لمذهب أو مخالفة المشهور أو إقرار حكم شاذّ أو قليل أو نادر أو لا أصل له، وهو ما لم يتوافر في زيادة بيان الدلالة أو تعزيزها.
- نوَّع ابن عطيَّة بين مبيّنات الدلالة كمًّا وكيفًا؛ فبيَّن الدلالة القرآنيَّة بمبيّنٍ واحدٍ في مواضع أحاديَّة المبيّنات، كما جمع بين مبيّنين في مواضع ثنائيَّة المبيّنات، كما عدَّد المبيّنات في مواضع أخرى، دون أن يلتزم ترتيبًا محدَّدًا في ذكر هذه المبيّنات في المواضع القرآنيَّة، فجاءت متنوِّعة الرتبة عند ثنائيَّة المبيّنات أو تعدُّدها.
- استعان ابن عطيَّة في إيضاح الدلالات بخمسة مبيّنات، هي: المبيّن القرآنيّ، والمبيّن الحديثيّ، والمبيّن الشعريّ، والمبيّن النثريّ، وآثار الصحابة والسابقين، وأقوال النحاة ... وكثيرًا ما كان يسرد المبيّنات دون تعقيب.

- رغم ورود البيت الشعريّ وحده مبيّنًا دلاليًّا للمعاني القرآنيَّة في المُحَرَّر الوجيز، لم يتقيَّد ابن عطيَّة بعصر الاحتجاج، أو نسبة البيت إلى قائله؛ حيث إنَّه بيَّن الدلالة وعزَّزها بأربعة أنواع من المبيّنات الشعريَّة، تبيّن الفوارق بين جواز تحرّر شواهد التبيين من قيود النسبة والزمان والمكان، عكس ما وجب في شواهد الاحتجاج والتقعيد، وهذه المبيّنات الشعريَّة هي:

١- مبيّنات من عصر الاحتجاج، مثل: (زهير بن أبي سَلمى – الأعشى - عنترة بن شدَّاد - رؤبة بن العجَّاج - ذي الرُّمَّة)

٢- مبيّنات من خارج عصر الاحتجاج، مثل: (الفرزدق – جرير – ليلى الأخيليَّة)

٣- مبيّنات منسوبة أو غير مؤكَّدة النسبة، مثل المبيّنات المنسوبة لكلٍّ من: (طَرَفَة بن العبد - الأحوص - عمر بن أبي ربيعة - عبيدة بن الأبرص).

٤- مبيّنات غير منسوبة.

- نوَّع ابن عطيَّة بين المبيَّن القرآنيّ وشواهد التبيين والإيضاح، من حيث النوع، اتِّفاقًا واختلافًا؛ حيث إنَّه:

١- بيَّن الأسماء بالأسماء (المفرد بالمفرد – والمفرد بالجمع)

٢- بيَّن الأفعال بالأفعال (مع اتِّفاق الزمن في مواضع واختلافه في مواضع).

٣- بيَّن الأسماء بالأفعال.

٤- بيَّن الأفعال بالأسماء.

- بيَّن ابن عطيَّة دلالات القرآن بالقرآن؛ وله في ذكر المبيّنات القرآنيَّة ثلاث طرق:

١- ذِكْرُ الآية كما وردت نصًّا في القرآن.

٢- ذِكْرُ معنى الآية وتفسيرها دون نصّها.

٣- ذِكْرُ معنى الآية ونصّها.

- اعتمد ابن عطيَّة الشاهد الحديثيّ مبيّنا رئيسًا وركنًا مكينًا في إيضاح الدلالات القرآنيَّة وتعزيزها؛ إذ يبيّن معاني القرآن بالحديث، وله في ذكر المبيّنات الحديثيَّة ثلاث طرق:

١- ذِكْرُ نصِّ الحديث بلفظه كما ورد في كتب الأحاديث.

٢- ذِكْرُ معنى الحديث دون لفظه.
٣- ذِكْرُ معنى الحديث ولفظّه كما ورد.

- اتَّخذ ابن عطيَّة من كلام العرب النثريّ مبيّنًا دلاليًّا في إيضاح المعاني وتعزيزها، بطريقين:
١- ذكر أقوال العرب النثريَّة التي تبيَّن المعنى الوارد في الآية القرآنيَّة.
٢- استخدام عبارات صريحة مثل: (والعرب يستخدومن ذلك - وهذا على نحو كلام العرب – وإذا تأمَّلت هذا في كلام العرب اطَّرد).
- كان للشاهد الاستعماليّ عند سيبويه حضور في تبيين الدلالة القرآنيَّة وتعزيزها في المحرَّر الوجيز؛ حيث أورده ابن عطيَّة شاهد تبيين لا شاهد تقعيد، وكذلك أقوال النحاة، كالزجَّاج والنحَّاس.
- لمَّا كان الصحابة والسابقين يمتلكون موازين كلام العرب وفصاحته، اتَّخذ ابن عطيَّة من آثارهم مبيّنًا للدلالات القرآنيَّة، ومن هؤلاء: أبو بكر الصدّيق – عبد الله بن عبّاس - أنس بن مالك – الضحَّاك – المهدوي – سعيد بن جبير – مُجاهد – عكرمة – أبو هُريرة – أبو سعيد الخدريّ – عبد الله بن الحارث - قول فرقة أو أكثر؛ مصدِّرها بعبارة: (وقالت فرقة).
- نوَّع ابن عطيَّة في إيضاح الدلالة وزيادة بيانها كمًّا وكيفًا؛ فأمَّا الكمّ فإنَّه يذكر مبيّنًا واحدًا أو مبيّنين اثنين أو ثلاثة مبيّنات؛ منوّعًا بينها في الرتبة، وأمَّا الكيف فإنَّه نوَّع هذه المبيّنات بين آثار السابقين والمبيّن القرآنيّ والمبيّن النثريّ والمبيّن الحديثيّ والمبيّن الشعريّ ...
- متى اجتمع مبيّنان لإيضاح الدلالة القرآنيَّة وتعزيزها في المحرَّر الوجيز، وكان آثار الصحابة والسابقين أحدهما؛ فالأغلب أن يكون له الرتبة الأولى (الصدارة) بين المبيّنين، وإن كان المبيّن الآخر معه هو المبيّن القرآنيّ أو الحديثيّ أو الشعريّ.
- متى اشترك المبيّن القرآنيّ مع المبيّن النثريّ أو المبيّن الشعريّ عند إيضاح الدلالات في المحرَّر الوجيز؛ فإنَّ الصدارة تكون للمبيّن القرآنيّ.
- متى اشترك المبيّن القرآنيّ مع المبيّن الحديثيّ في ثنائيَّة إيضاح الدلالة القرآنيَّة وتعزيزها في المحرَّر الوجيز، كانت الصدارة للمبيّن الحديثيّ، وبخاصَّة عندما يشتمل الحديث على المبيّن القرآنيّ.

- يتساوى كلّ من المبيّن القرآني والمبيّن الحديثيّ والمبيّن النثريّ والمبيّن الشعري في المحرَّر الوجيز– عند ثنائيَّة المبيّنات- في احتلال المرتبة الأولى أو الأخيرة على السواء.
- متى تعدَّدت مبيّنات إيضاح الدلالة وتعزيزها في المحرَّر الوجيز، كانت الصدارة لآثار الصحابة والسابقين أو للمبيّن القرآنيّ أو للمبيّن الشعريّ، ومتى اشتركت آثار السابقين مع هذه المبيّنات كلّها كان لها الصدارة رتبةً وهو يبيّن المعنى الواحد بطائفة كبيرة من آثار السابقين، أمَّا المبيّن الحديثيّ فإنَّه يرد آخرها رتبةً، وقد يذكر حديثين اثنين في الموضع الواحد.
- متى اجتمع المبيّن النثريّ والمبيّن الشعري من أجل إيضاح الدلالة وتعزيزها في المحرَّر الوجيز، فقد تكون الصدارة للمبيّن النثريّ وفي المبيّن النثريّ قد يصل إلى ثلاثة أقوال في المعنى الواحد، وقد تكون للمبيّن الشعريّ؛ ومن ثمَّ فهما في الصدارة والتأخُّر سواء.
- متى تعدَّدت مبيّنات الدلالة عند ابن عطيَّة، فالصدارة تكون للقرآن أو الشعر أو آثار السابقين، ومتى جاءت آثار السابقين في هذه المبيّنات كانت في صدر هذه المبيّنات وأوَّلها رتبةً، أمَّا المبيّن الحديثيّ فإنَّه يرد في عجزهذه المبيّنات وآخرها رتبة.
- متى تعدَّدت مبيّنات الدلالات عند ابن عطيَّة، احتلّ المبيّن القرآنيّ عنده المرتبتين الأولى والثانية دون الأخيرة، أمَّا المبيّن الشعريّ فإنَّه قد يرد في المرتبة الأولى أو الوسطى أو الأخيرة، وأمَّا المبيّن النثريّ فإنَّه لا يرد في المرتبة الأولى (الصدارة) أبدًا؛ إنَّما يحتلُّ المرتبتين الوسطى والأخيرة.

المصادر والمراجع:

- الاستشهاد النحوي بأقوال الصحابة عند الإمام بدر الدين العينيّ في ضوء كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، محمد بن عبد القادر هنادي، مجلة جامعة أم درمان الإسلاميّة، كلية اللغة العربيّة، العدد٨، ٢٠١٦م.
- الاستشهاد والاحتجاج باللغة: رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، محمد عيد، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٨م.
- الأصول دراسة إبستمولوجيّة للفكر اللغويّ عند العرب: النحو – فقه اللغة – البلاغة، تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، ضبطه وعلّق عليه: عبد الحكيم عطيَّة، راجعه وقدّم له: علاء الدين عطيّة، دار البيرونيّ، ط٢، ٢٠٠٦م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد مُحَمَّد مرتضى الحسينيّ الزَّبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تح: محمود الطناحي، راجعه: عبد السلام هارون، ولجنة فنيَّة من وزارة المعارف، ١٩٩٣م.
- تفسير البحر المحيط، محمّد بن يوسف أبو حيان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، قرظه: عبد الحي الفرماويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ، تح: محمد ذهنيّ أفندي وآخرين، دار الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤هـ.
- الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتّب على أبواب الفقه، أبو أحمد محمد عبد الله الأعظمي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠١٦م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ (ت٤٣٠هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٧٤م
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمّد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٩٦٥م.

- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغداديّ (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.
- دراسات في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، وكالة المطبوعات، الكويت د.ت.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق: محمّد حسين، مكتبة الآداب، الجماميز، د.ت.
- ديوان الفرزدق، شرحه وقدّم له: علي فاعور، دار الكتاب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- ديوان أميَّة بن أبي الصلت، جمعه وحقّقه وشرحه: سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- ديوان زهير بن أبي سَلمى، شرحه وقدّم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- ديوان سلامة بن جَندل، صنعه: محمد بن الحسن الأحول، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.
- ديوان شعر ذي الرُّمَّة، غيلان بن عقبة العدويّ، عني بتصحيحه وتنقيحه: كارليس هنري هيس مكارتني، مطبعة كلية كامبريج، ١٩١٩م.
- ديوان طَرَفَة بن العبد، شرح الأعلم الشَّنْتَمريّ، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسّسة العربيّة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: فايز محمد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.
- ديوان ليلى الأخيليَّة، تحقيق وشرح: واضح الصِّمد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م.
- الشاهد الشعريّ بين الفقيه والنحويّ، سعاد بنت مصلح الردادي، مجلّة جامعة أم درمان الإسلاميّة، كلية اللغة العربيّة، العدد التاسع، ٢٠١٧م.
- شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
- شعر الأحوص الأنصاريّ، جمعه وحقَّقه: عادل سليمان جمال، قدَّم له: شوقي ضيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.

- صحيح البخاريّ، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط٥، ١٩٩٣م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزْديّ (ت٤٥٦هـ)، حقّقه وفصله وعلّق حواشيه: محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.
- عيون الأخبار، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَريّ (ت٢٧٦هـ)، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٩٦م.
- في النحو العربيّ نقد وتوجيه، مهدي المخزوميّ، دار الرائد العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.
- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تح: عادل عبد الموجود وعلي محمّد معوض، شارك في تحقيقه: فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ)، تح: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمَّد عبد الحقّ بن غالب بن عطيَّة الأندلسيّ (ت٥٤٦هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي الزجَّاج (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.